

تفسير البحر المحيط

@ 114 @ والبطن يريد جميع بدنه لا خصوص المدلول بالوضع . وتقدّم الكلام على قوله { بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } قراءة وإعراباً في الأنعام . . .
{ وَلَا تَعْدُ } أي لا تصرف { عَيْنَاكَ } النظر عنهم إلى أبناء الدنيا ، وعدا متعد
تقول : عدا فلان طوره وجاء القوم عداً زيدا ، فلذلك قدرنا المفعول محذوفاً ليبقى الفعل
على أصله من التعدية . وقال الزمخشري : وإنما عدّ بني بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في
قولك : نبت عنه عينه ، وعلت عنه عينه إذا اقتحمته ولم تعلق به . فإن قلت : أي غرض في
هذا التضمين ؟ وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو { وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } . قلت :
الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين . وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ، ألا ترى كيف رجع المعنى
إلى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزين إلى غيرهم ونحو قوله { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ
إِلَى أَمْوَالِهِمْ } أي ولا تضموها إليها آكلين لها انتهى . وما ذكره من
التضمين لا ينقاس عند البصريين وإنما يذهب إليه عند الضرورة ، أما إذا أمكن إجراء اللفظ
على مدلوله الوضعي فإنه يكون أولى . وقرأ الحسن : { وَلَا تَعْدُ } من أعدى ، وعنه
أيضاً وعن عيسى والأعمش { وَلَا تَعْدُ } . قال الزمخشري : نقلاباً بالهمزة وينقل الحشو
ومنه قوله . . .

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له .

لأن معناه فعد همك عما ترى انتهى . وكذا قال صاحب اللوامح . قال : وهذا مما عديته
بالتضعيف كما كان في الأولى بالهمز ، وما ذهب إليه ليس بجيد بل الهمزة والتكثير في هذه
الكلمة ليسا للتعدية وإنما ذلك لموافقة أفعال وفعل للفعل المجرد ، وإنما قلنا ذلك لأنه
إذا كان مجرداً متعد وقد أقر بذلك الزمخشري فإنه قال : يقال عداه إذا جاوزه ، ثم قال :
وإنما عدّ بني بعن للتضمين والمستعمل في التضمين هو مجاز ولا يتسعون فيه إذا ضمنوه فيعدونه
بالهمزة أو التضعيف ، ولو عدّ بني بهما وهو متعد لتعدي إلى اثنين وهو في هذه القراءة
ناصب مفعولاً واحداً ، فدل على أنه ليس معدى بهما . . .

وقال الزمخشري : { تُرِيدُ زَيْنَةَ الْخَبِيثَاتِ الدُّنْيَا } في موضع الحال انتهى .
وقال صاحب الحال : إن قدر { عَيْنَاكَ } فكان يكون التركيب تريدان ، وإن قدر الكاف
فمجيء الحال من المجرور بالإضافة مثل هذا فيها إشكال لاختلاف العامل في الحال وذو الحال ،
وقد أجاز ذلك بعضهم إذا كان المضاف جزءاً أو كالجزء ، وحسن ذلك هنا أن المقصود نهيه
عليه الصلاة والسلام عن الإعراض عنهم والميل إلى غيرهم ، وإنما جيء بقوله { عَيْنَاكَ }

والمقصود هو لأنهما بهما تكون المراعاة للشخص والتلفت له ، والمعنى { وَلَا تَعْدُ } أنت { عَذِّهِمْ } النظر إلى غيرهم . .

وقال الزمخشري : { مَنَ أَغْفَلَ ذَا قَلْبِهِ } من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلاً عنه كقولك : أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك ، أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ، ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان ، وقد أبطأ توهّم المجبرة بقوله { وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } انتهى . وهذا على مذهب المعتزلة ، والتأويل الآخر تأويل الرمانى وكان معتزلياً قال : لم نسمه بما نسم به قلوب المؤمنين بما يبين به ، فلاحهم كما قال : كتب في قلوبهم الإيمان من قولهم بغير غفل لم يكن عليه سمة ، وكتاب غفل لم يكن عليه إعجام ، وأما أهل السنة فيقولون : إن الله تعالى أغفله حقيقة وهو خالق الضلال فيه والغفلة . وقال المفضل : أخليناه عن الذكر وهو القرآن . وقال ابن جريج : شغلنا قلبه بالكفر وغلبة الشقاء ، والظاهر أن المراد بمن { أَغْفَلَ ذَا قَلْبِهِ } كفار قريش . وقيل : عيينة والأقرع والأول أولى لأن الآية مكية . .

وقرأ عمر بن فائد وموسى الأسواري وعمرو بن عبيد { أَغْفَلَ ذَا قَلْبِهِ } بفتح اللام { قَلْبِهِ } بضم الباء أسند الأفعال إلى القلب . قال ابن جنيّ من طننا غافلين عنه .